٥ الصعايدة قادمون

قرون وعقود وسنوات طويلة سجل فيها أهالي الصعيد تجاهل الدولة المستمر لشئونهم. فبعد أن كان الصعيد هو عتبة الدار لدخول التاريخ المصري بات في نهاية الذيل تجره سياسات الحكومات المتعاقبة نحو براثن الفقر والجهل والمرض. فرغم خصوصية أراضيه ونقاوة مياهه ومجدعة رجاله وجدية شبابه، صار محضا للنكات والسخرية في مجالس السياسيين والمثقفين والمراهقين في المقاهي وعلى قارعة الطرقات واصمين أهله بالانغلاق الذهني وضيق الأفق، وهو الذي أنتج عبر التاريخ رجالًا علموا العالم أجمع وليس مصر وحدها، فلا ننسى طه حسين والعقاد ورفاعة الطهطاوي والدكتور محمد سيد طنطاوي والزعيم جمال عبد الناصر وغيرهم. وساهمت السياسات غير العادلة في توزيع موارد الوطن في قتل الأسرة في الصعيد وتفتيت بنيتها، ففي حين زادت معدلات السكان ضعفت الرقعة الزراعية. وانحسرت مياه النيل وغابت المصانع عن المشهد الإنتاجي. وراح الصعيد يصدر رجاله للعمل سخرة وتحت ولاية كفلاء بالدول العربية. ولأرسل أطفاله للتسول في شوارع المحافظات الكبرى بالوجه البحري، تلك السياسات التي تركت عائلات الصعيد فريسة للتعصب والثأر والتناحر القبلي، الذي أهدرت فيه أموالًا كانت قد خصصت للنهوض والتنمية، وأرواحًا قد تناثرت شظايا وجهت بحسم لضرب نظام مبارك حتى أسقطته.

ثلاثون عامًا باعت فيها حكومات مبارك الصعيد للجهل والمرض والتأثر حتى أصبح البانجو صديقًا لأطفاله يزرعونه على أسطح المنازل ويبتاعونه داخل أسوار المدارس. وجاءت الثورات العربية ليتحمل صعيد مصر كل تبعاتها. وعاد المهاجرون بحثًا عن العمل إلى بيوتهم، وأغلقت المتاجر والمصانع أبوابها. ولملم الأمن شباكه، وبات الصعيد مخزنًا للأسلحة النارية بشتى أنواعها، وخاصة أثناء اندلاع الثورة الليبية، فضلًا عما يرد إليه من إسرائيل وشمال السودان، فكما ساهمت الثورات العربية في ارتفاع ملحوظ في الأسعار، وندرة في بعض المطالب الحياتية للأفراد، صار السلاح والمخدرات مطلبًا أساسيًّا للأسر في صعيد مصر.

لذا فإنني أحذر المجلس العسكري وحكومة الجنزوري من ثورة عارمة في الصعيد ربما تقضي على الأخضر واليابس فيه. لقد خرج الحملان عن حاجز الصمت وتعلموا كيف يثوروا ومتى وأين. ولعل مواقف أقباط أسوان أمام ديوان المحافظة، وأهالي قنا اعتراضًا على محافظها الشرطي، وأهالي سوهاج الذين تظاهروا في ميدان الثورة منددين بأزمة البنزين في عيد الأضحى. كلها خير شاهد على مقدمات لثورة ربما تكون الأكبر والأخطر والأقصى في مراحل الثورة المصرية ضد الظلم والفساد، خاصة وأنهم أصبحوا الآن يمتلكون الأسلحة بشكل غير معقول فضلًا عن امتلاكهم جراءة القلب وحنكة التعامل في إطار عام من غيبة الدور الشرطي في الصعيد بعد أحداث ٢٥ يناير وهنا لا بد من الانتباه إلى تنمية الحكومة إلى الصعيد وتفعيل كافة الأجهزة الخدمية والإنتاجية ورفع الغبار عن المدن الصناعية التي آكل الصدأ ماكيناتها، والعمل بشتى الوسائل لانتزاع الأسلحة غير المرخصة فيه. مع إحكام قبضة الأمن ومحاربة الفقر والمرض والبطالة وغياب الوعي، فإذا كنا نريد مستقبلًا آمنًا وعادلًا لمصر، يجب أن تدرك الحكومة المصرية دائمًا أن الصعايدة قادمون.

□ □ □ □